

428003 - ما المقصود بحديث (مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنْبَهُتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ)؟

السؤال

أود رفع الإشكال الذي يراودني في الحديث التالي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنْبَهُتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَاوُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) رواه الترمذي، وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ. كيف نجمع بين كون الملائكة مخلوقات عظيمة، وبين أنه يمكنها أن تسجد في مسافة صغيرة قدرها أربع أصابع؟ أنا أعرف أنه من الأفضل ألا يدخل الإنسان بعقله في الأمور الغيبية، لكن من باب دفع الشبهات التي يتلقاها المسلم في حياته.

الإجابة المفصلة

روى الترمذي (2312) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنْبَهُتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ..» .

وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".

المتبادر إلى الذهن من عبارة: «مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنْبَهُتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».

هو بيان كثرة الملائكة عليهم السلام وملازمتهم لعبادة الله تعالى.

وهذه العبارة لا إشكال فيها؛ لأمر:

الأول: الملائكة ليسوا كلهم على حلقة واحدة.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. فاطر/1.

والله تعالى لم يفصل لنا حلقة هؤلاء الملائكة العابدين، فلا نستشكل أمرنا نجهل حاله.

الأمر الثاني:

أن هيئة الملائكة عليهم السلام لا تقاس على هيئة البشر، لأن الله تعالى أعطاهم قدرة على التشكل في ألطف هيئة، فهذا جبريل عليه السلام العظيم الحلقة.

روى البخاري (3232)، ومسلم (174) عن أبي إسحاق الشيباني، قال: سألت زبَّ بنَ حُبَيْشٍ عن قولِ الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ: "رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمَانَةَ جَنَاحٍ".

وروى الإمام مسلم (177) عن مسروق، قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾.

قَالَتْ: "إِنَّمَا ذَلِكَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ النَّبِيِّ هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أَفَقَ السَّمَاءِ".

فمع عظم هذه الحلقة كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل.

كمثل ما ورد في حديث أسامة بن زيد: "أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأُمِّ سَلَمَةَ: (مَنْ هَذَا؟)

قَالَتْ: هَذَا رَحِيئَةُ، قَالَ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيُّمُ اللَّهِ! مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ حُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَبِّرُ عن جِبْرِيلَ" رواه البخاري (3634)، ومسلم (2451).

الأمر الثالث:

الحديث لم ينص على أن لكل ملك مساحة أربع أصابع لا يتجاوزها، بل الذي يظهر من لفظه، أن مساحة أربع أصابع رغم شدة صغرها مقارنة بسعة السماء، لا تكون خالية، بل جميع مساحة السماء معمورة بالملائكة العابدين لربهم سبحانه وتعالى، بحيث إنك لو نظرت إلى الفاصل بين ملك، وملك، لم تجده يبلغ "أربعة أصابع"؛ ولا تعرض في ذلك إلى المساحة التي يشغلها الملك في سجوده. وهذا واضح إن شاء الله.

والله أعلم.